

أهمية الأرشيف الفرنسي في كتابة تاريخ المغرب المعاصر

The importance of the french archive in writing the contemporary history of Morocco

د/ محمد الوردي ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس -المغرب-

Elouardi2med@gmail.com

د/ حورية ومان، جامعة محمد خيضر، بسكرة -الجزائر-

Houria.ouamane@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2021/04/22 تاريخ القبول: 2021/06/08 تاريخ النشر: 2021/06/30

تسلط هذه الدراسة على أهمية ودور الأرشيف الفرنسي في الكتابة التاريخية، بالتحديد تاريخ المغرب المعاصر، لما يحتوي من معلومات مهمة في العديد من المجالات التي تهم الباحث في دراسة الحقائق التاريخية، وخاصة أن أغلب أصناف الأرشيف صدرت من جهات رسمية أو غير رسمية، مما جعل لها أهمية بالغة في التحقق من مصدر المعلومة التاريخية، كما يعد الأرشيف الفرنسي ذاكرة مشتركة بين المغرب وفرنسا يجعل البلدين يشتركان في العديد من المناسبات والأحداث التاريخية.

الكلمات المفتاحية: الأرشيف، تاريخ المغرب، ماوراء البحار، وزارة البحرية، قسم

الاستعلامات.

Summary: this study deals with the importance and role of the french archive in historical writing, specifically the contemporary history of morocco, because it contains important information in many areas of interest to the researcher when carrying out his study of historical facts, especially since most of the archive items can be issued by official or unofficial bodies, which makes it very important to verify the source of historical information ; the french archive

is also a shared memory between memory between morocco and France, and it makes the two countries participate in many occasions and historical events.

Key words: Archive, history of morocco, Overseas, ministry of navy, information Servic

مقدمة

يسمح الأرشيف¹ للشعوب الملمة بالتاريخ، والفاطنة بأهميته في التأريخ لمسارها ومنجزاتها، من الانتقال من طور الذاكرة إلى مرحلة التاريخ العلمي الأكاديمي، ويتمح في المقام الأول قيمة للدليل التاريخي عبر تبليغ الماضي من خلال إعادة بعث الحياة فيه، كون الذاكرة تحفظها الوثيقة المكتوبة التي تشكل المادة الأولية التي ينهل المؤرخ منها المعطيات التي يبني عليها نصه التاريخي، ومن هنا يكتسي الأرشيف الفرنسي قدرا مهما من المصادقية بالنسبة للبحث الأكاديمي عن تاريخ المغرب المعاصر. وحتى لو كان هذا الأرشيف حامل لوشام استعماري جاهز وأن حق الاطلاع عليه مقيد ببعض الشروط² فلا مجال للشك من أن المادة الأرشيفية الموزعة في دور الأرشيف الفرنسي هي أس البحث في تاريخ المغرب المعاصر، وأن عملية كتابة هذا التاريخ بما له وما عليه لا يمكن أن تتم على أحسن وجه ما لم يكن هناك أرشيف، يعوض فراغ المصادر المغربية ونذرتها. من هنا سنحاول الحديث في هذا المقال عن أهمية الأرشيف الفرنسي من خلال التعرّيج على المحطات التاريخية التي مر منها ظهوره، لنخلص إلى ماهية أقسامه، وأهميته بالنسبة للبحث العلمي الأكاديمي بالمغرب. فكيف ظهر الأرشيف الفرنسي؟ وما هي أصنافه وأقسامه ومحتواه حول المغرب؟ وما مدى مساهمته في كتابة تاريخ المغرب المعاصر؟

أولا. نبذة تاريخية عن ظهور الأرشيف الفرنسي

تميزت الفترة الوسيطية بفرنسا بحضور نوعين من الأرشيفات: الأرشيفات الثابتة، والأرشيفات المتنقلة التي كانت ترافق الملوك والحكام. وقد كان لانخراط ملك فرنسا لوي فيليب في إحدى المعارك سنة 1194م وضياح مجموعة من الوثائق حينها سببا في إعطاء أوامره بترك الأرشيف في باريس، ليصان من التلف والضياع³.

إن بداية التدوين الحقيقي للحياة في فرنسا، من جوانبها المختلفة، ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، بدأت منذ اندلاع الثورة الفرنسية سنة 1789 بعدما أحدثت الجمعية العامة مركز الأرشيفات الوطنية بباريس (les archives nationales). ومنذ سنة 1793 بدأ أرشيف وزارة الخارجية يتشكل بدوره عندما جرى فصل القنصليات عن البحرية⁴. وبعد صدور مرسوم الاستفادة من الوثائق الفرنسية سنة 1936، وتأسيس المجلس الدولي للأرشيف بالعاصمة باريس سنة 1948⁵ تم فتح أغلب الأرشيفات الفرنسية في ثمانينات وتسعينيات القرن الماضي في وجه العموم.

إنها تقاليد أرشيفية قديمة لفرنسا، مما يجعلها اليوم من الدول التي تتوفر على أرشيف فريد على المستوى العالمي، ويحتل الأرشيف الفرنسي المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة الأمريكية من حيث الغنى والتنوع والحجم.

ثانياً. الأرشيف الفرنسي حول المغرب: أصنافه، ومحتواه وأهمته

يصنف الأرشيف عموماً إلى صنفين، هما: الأرشيف العام ويضم وثائق الدولة وهيئاتها ومؤسساتها العمومية وجماعاتها المحلية، والأرشيف الخاص، الذي يتكون من وثائق الأشخاص أو العائلات أو المؤسسات والمنظمات غير العمومية⁶. ويقسم الأرشيف الفرنسي إلى أصناف متعددة تبعا لتعدد مراكز الأرشيف وتخصص كل واحد منها، فهناك:

مركز الارشيف لما وراء البحار (Centre des Archives d outre mer)

(بمدينة إيكس أون بروفانس قرب مرسيليا)⁷. تأسس منذ سنة 1962 ويحتوي المركز على أرشيف ضخم يضم كل مراسلات وتقارير السلطات الاستعمارية الفرنسية في مستعمراتها فيما وراء البحار، أي خارج فرنسا⁸. ورغم أن أغلب وثائق هذا المركز الأرشيفي مخصصة للجزائر فإننا نجد به مجموعة من المحافظ عن مغرب القرن التاسع عشر ومغرب الحماية ضمن ثلاث مجموعات كبرى يرمز لها ب: 30 H و 31 H و 32 H تضم معلومات وافرة عن ثروات بعض الأسر مثل الوزانيين، وعن قضايا السلاح والتسلح والحدود المغربية-الجزائرية واللصوصية والتهريب بالمغرب ووضعية الجزائريين بالمغرب، والمحادثات المغربية-الفرنسية والمعاهدات والأوفاق التي وقعها الطرفان بين سنتي 1844 و 1926 (المجموعة: 30 H)، بالإضافة إلى تقارير حول بعض القبائل وعن الوطنية المغربية خصوصا مع بداية الثلاثينيات (مثلا المحفظة رقم: 31H 1). وأخيرا المجموعة 32 H

بمحفظاتها العشرة التي تحوي تقارير سرية كانت تصدرها إدارة الشؤون الأهلية عن الوضع السياسي والعسكري والاقتصادي بالمنطقتين الفرنسية والاسبانية⁹.

إنها ذخيرة وثائقية هامة حول تاريخ المغرب المعاصر، فقد كانت الإدارة الفرنسية بالجزائر تتوصل منذ مطلع القرن التاسع عشر من باريس أو من المغرب بنسخ من التقارير التي كان يحررها الضباط العسكريون الفرنسيون ورجال السياسة والدبلوماسية عن مغرب ما قبل الحماية، لهذا فهي غنية بالمعطيات عن وضع المغرب الاجتماعي والسياسي والاقتصادي وتساعد على فهم أعمق لأحداث ووقائع القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين لطرقها مواضيع وقضايا غامضة لم تتطرق لها الوثائق المغربية في غالب الأحيان.

مركز أرشيف وزارة الحربية بقصر فانسن بباريس: هو عبارة عن قصر ضخم يرجع تاريخ تأسيسه إلى القرن الرابع عشر الميلادي. يقع في الضاحية الجنوبية الشرقية لباريس على بعد خمس كيلومترات تقريبا¹⁰، يحتوي على مجموعتين هامتين من الوثائق تغطي كل منهما الفترة التاريخية الممتدة ما بين 1877 و1960¹¹. تضم المجموعة الأولى (3H) حوالي ثلاثة آلاف محفظة ضمنها ألف محفظة خاصة بمكاتب الشؤون الأهلية¹²، في حين تضم المجموعة الثانية (Sous-serie) عشرين محفظة، فضلا عن سلاسل مكملات تحت رموز: B, E, EM, K, N¹³. ولعل أهم ما تتميز به هذه الوثائق هو صدورها عن مختلف الأجهزة العسكرية، ونذكر على سبيل المثال:

التقارير العسكرية المفصلة: هي تقارير يومية وأسبوعية وشهرية عن سير العمليات العسكرية البرية والجوية والبحرية في مختلف جبهات القتال بالمغرب في تازة¹⁴ وأحوازها¹⁵ والأطلس المتوسط والصغير والكبير (مثلا الصناديق رقم: 3H586-596 و3H1556). ونجد كذلك تقارير مفصلة عن الوضع السياسي والعسكري وتطوراتها خلال حرب الريف¹⁶، وعن قضية الأسرى وشخصية الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي، وكذا التعليمات القيادية والتعزيزات البشرية والتقنية التي كانت تفد من المتربول (المحافظ: 3H601-3H597)¹⁷.

المنوغرافيات: هي منوغرافيات دقيقة ومركزة أنجزها ضباط الشؤون الأهلية في شكل بطائق القبائل (Fiches de tribus) تحت إشراف وتوجيه من نخبة الجيش الفرنسي¹⁸ عن "بلاد السبة" أو مناطق العصيان (Les Regions dissidents) حول فاس ومكناس وتازة)

قبيلة البرانس)¹⁹ وغيرها من المناطق، وهي غنية أيضا بالمعلومات المفصلة عن حياة القبائل وبنياتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ويتم في هذا الصدد إحصاء عدد السكان و"الكوانين" وعدد البنادق والخيول والمقاتلين الذين يمكن لأي قبيلة أو فخذة استنفارهم زمن الحرب. وقد شكلت هذه المونوغرافيات بالفعل سلاحا فتاكا في يد قسم الاستعلامات الفرنسية لحبس الأنفاس وضبط الأهالي ودفع القبائل إلى الإذعان وطلب الأمان على مضض²⁰. ومن شأنها أن تجعل الباحث في تاريخ المغرب زمن الحماية يقف على الأحوال العامة للقبائل المغربية، ويتعرف على العادات والتقاليد والعقليات ومختلف المظاهر اليومية من أكل وملبس وسكن.. وهذا الصنف من الأرشيف مهم جدا للذين يبحثون في تاريخ القبائل أو التاريخ المونوغرافي للهامش، خصوصا في ظل انكباب كتب الحوليات والتراجم على المدن والحواضر لكونها القواعد المركزية للمخزن، في حين كان حظ البوادي ضئيلا من كتابات النخبة المثقفة، وتزداد شحا الوثائق كلما ابتعدنا عن الحاضرة واقتربنا من الأطراف²¹.

تقارير قسم الاستعلامات : ضمن المحافظ رقم: 3H 102²² و 46-45N 235

ذات الطابع الدعائي الذي غالبا ما ركز على سيناريوهات الدعاية الألمانية بالمغرب (Action allemande au Maroc)، و"التورط" الألماني-التركي في دعم المقاومة المغربية (مثلا المحفظة رقم: 3H108)²⁴، ونشاط زعمائها مثل عبد المالك بن محيي الدين الجزائري (محافظ رقم: 3H 133 و 3H 909 و 3H 913) تصل إلى حد رصد كل كبيرة وصغيرة عن تحركات شخصيات ألمانية مثل شخصية ألبير بارتلز في منطقة تازة خلال الحرب العالمية الأولى²⁵. وعموما لا يمكن إنكار الأهمية البالغة لهذه الوثائق إلا أنه يجب التعامل معها بحذر ومقارنتها بمختلف المصادر الوثائقية الأخرى المكتوبة والشفوية، خاصة المغربية²⁶.

صورة رقم 1: جانب من قصر فانسين حيث الجناح المخصص للأرشيف العسكري
(تصوير محمد الوردي، يوليو 2014)



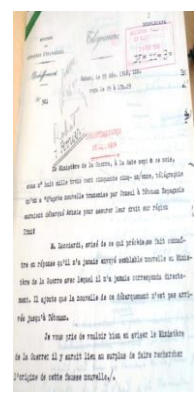
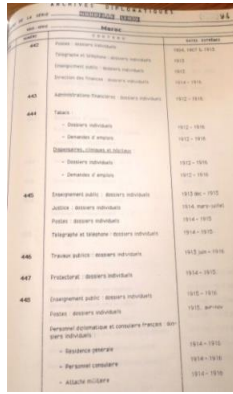
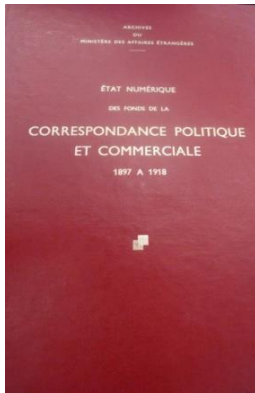
مركز أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية "لاكرونوف" بباريس: تابع لوزارة الخارجية الفرنسية كي دورسي (Orsay) في باريس، فتح أبوابه للعموم سنة 2009، ويحفظ نحو ثمانين كيلومترا من الوثائق التاريخية الخاصة بوزارة الخارجية²⁷، يحتوي هذا الأرشيف عن المغرب صناديق وملفات (تحت جرد رقم: 179 CPCOM، و 73 CPCOM) تؤرخ لوضعية المغرب في علاقته مع فرنسا من أواخر القرن التاسع عشر (1897) إلى حدود فترة الاستقلال، وأغلب وثائقها تؤرخ للعلاقات التجارية المغربية-الأجنبية وتنظيم التجارة في المنطقة الشمالية والجنوبية، وكل ما له علاقة بالمحميين والتجنيس، والشخصيات المقيمة والدبلوماسية والقناصل الفرنسيين والأجانب والأطماع والمصالح الإسبانية والانجليزية والألمانية في المغرب والشؤون المالية للمغرب (ميزانية، قروض، جمارك، ضرائب صرف، أبناء...) والقضائية والحالة المدنية والمسائل العقارية، والصحافة والأوضاع العسكرية.

هي بحق ذخيرة أخرى حول تاريخ مغرب ما قبل الاستعمار ومغرب الاستعمار من وجهة نظر دبلوماسية صرفة صادرة عن المركز الدبلوماسي الذي تمثله وزارة الخارجية الفرنسية في علاقتها مع باقي التمثيليات الدبلوماسية والقنصلية الدولية بطنجة وفاس وغيرها من المناطق، وهي أغنى من حيث الكم الوثائقي ومن حيث تنوع المواضيع والمضامين وتشعبها، كون فرنسا خلال هذه المرحلة

عملت جاهدة على تركيز وجودها بالمغرب والقضاء على كل معيقات الاستئثار به، سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي، لذلك واكبت الآلة الدبلوماسية الفرنسية تسارع الأحداث حول "المسألة المغربية" وعملت على رفع منسوب احتواء الوضع الدولي في سياق تنافس امبريالي محموم حول مغرب مضطرب عرفت الدراسات حوله طفرة كبيرة تحت ضغط المصالح الامبريالية.

صورة رقم 2: نماذج محتوى فهارس ووثائق²⁸ عن المغرب في أرشيف لাকرونوف (تصوير

محمد الوردى: 4 غشت 2015)



مركز الأرشيف الديبلوماسي في مدينة نانط غرب فرنسا: وضعت به وثائق وزارة

الخارجية الفرنسية منذ سنة 1966، وفتح أبوابه للعموم سنة 1987²⁹، يغلب على الوثائق المحفوظة به الطابع الديبلوماسي أي كل الوثائق المستقدمة من الممثلات الفرنسية في الخارج ولدى المنظمات الدولية فضلا عن الأرشيف الخاص ببلبنان وسورية وبلدان شمال افريقيا³⁰. ويضم هذا الأرشيف 12 ألف محفظة عن المغرب والحرب العالمية الأولى³¹، وتقع الوثائق المتعلقة بالمغرب به في أكثر من عشرين فهرسا (**Inventaire**) تقسم حسب مؤسسات الحماية التي صدرت عنها الوثائق إلى أرشيف مصالح الإدارة المركزية وأرشيف المصالح الإقليمية التابعة لها. وهي موضحة وفق فهارسها في الجدول الآتي:

عنوان الفهرس	رقم الفهرس (Inventa	رقم الجرد	أهم المواضيع
-----------------	------------------------	-----------	--------------

		ire)	
السلاطين المغربية	1MA.15.5-7	2	Cabinet Diplomatiqu e
السياسة الداخلية للمغرب	10 bis		
معلومات عن القنصليات الفرنسية بالدار البيضاء والرباط وفاس ومكناس ومراكش ومزكان وأسفي وموكادور المسائل العسكرية والدنية والصحية والاقتصادية والمالية بالمغرب وقضايا الصحافة والتعليم والشؤون الألمانية والانجليزية والاسبانية والايطالية بالمغرب و"الإسرائيلية" ..	1MA.15.16-24, 49-78		
الأوسمة والتوشيدات	1MA.200.C2	3	Direction de L'intérieur
الدعاية الفرنسية، والتنظيم الإداري المحلي. الشغل والمسائل الاجتماعية. الأمن والشرطة. القواد وبعض الشخصيات الفاعلة..	C 12 E,H,Q,S	3	

الشؤون الإسلامية: الحج... المعهد الإسلامي بباريس، الإسلام في الصحافة..	1MA.300.13-20	4	Direction des Affaires Chérifiennes
السياسة الأهلية بالمغرب	1MA.300.16. 17	4	
سلطين الدولة المغربية والشخصيات المخزنية : السلطانين عبد العزيز وعبد الحفيظ، والحاج المهدي المنبهي وعبد الرحمان بنيس ومحمد الكباص والحاج عمر التازي..	1MA.300.22-29		
خليفة السلطان بالمنطقة الخليفية ملفات عن أعيان وقواد مناطق الشاوية وكرسيف وتازة وفاس ومكناس والرباط ومراكش وأكادير والدار البيضاء	1MA.300.30-54	4	
الشخصيات المدنية الدفاع الوطني ولدرك بوزان الشؤون العسكرية والأشغال العمومية وبطاق المعلومات الخاصة بأعيان وشخصيات	16MA.300.1-14 10MA.900.1-18	5	Région d'ouezzane et d'agadir

منطقة أكادير والنواحي ..			
السياسة التعليمية الفرنسية بالمغرب: المدارس الخاصة ومدارس الأعيان، والمدارس الحرة وجامع القرويين. التنظيم البيداغوجي، جمعيات قدماء التلاميذ...	3MA.900	6	Direction de l'instruction publique
-	1MA.285 1MA.100 4MA.900	8	Direction des Affaires indigènes
التنظيم الإداري لمؤسسات الحماية ومصالحها المختلفة. المراقبة الإدارية وبرامج الإصلاح الإداري. موظفو الإدارة العمومية...	2MA.1.1-50	9	Secrétariat général du protectorat
ملفات عن الأحياس بفاس وجامع القرويين ومحافظ عن الوطنية المغربية بمنطقة فاس وقضايا تهريب السلاح والصهيونية ونشاط قواد وأعيان فاس وأحوازها ...	17MA.900.1-110	1 0	Bureaux territoriaux
نشرات دورية ومراسلات عن الوضع السياسي والاقتصادي والعسكري والديني... بمنطقة وجدة زمن الحماية	15.MA.900	1 1	Région d'Oujda
نشرات دورية ومراسلات وتقارير عن الوضع السياسي	-	1 2	Région de Rabat

والاقتصادي والعسكري والديني.. بمنطقة الرباط والنواحي زمن الحماية			
نشرات دورية ومراسلات وتقارير عن الوضع السياسي والاقتصادي والعسكري والديني.. بمنطقة فاس زمن الحماية	12MA.900	1 3	Région de Fes
-	-	1 4	Cabinet civil
نشرات دورية ومراسلات وتقارير عن الوضع السياسي والاقتصادي والعسكري والديني.. بمنطقة مكناس زمن الحماية		1 5	Région de Meknès
نشرات دورية ومراسلات وتقارير عن الوضع السياسي والاقتصادي والعسكري والديني بمنطقة مراكش زمن الحماية	-	1 8	Région de Marrakech
نشرات دورية ومراسلات وتقارير عن الوضع السياسي والاقتصادي والعسكري والديني بمنطقة الدار البيضاء زمن الحماية	-	1 9	Control civil de Casablanca
الأبحاث الميدانية التي أنجزها ضباط الشؤون الأهلية حول عدة مواضيع عن المغرب والمغاربة	Microfilm 2mi	2 0	Mémoire de Stages

-	-	-	Tanger (A,B)
صور مختلفة عن فترة الحماية الفرنسية	20MA,202, carton photo 1-4	38	Fonds iconographiq ue Maroc

صورة رقم 3 : فهارس أرشيف نانط حسب مصالح الجهاز الاداري للحماية (تصوير محمد الوردي، غشت 2019)



ونظرا لدور هذه المصالح بالنسبة لإدارة الحماية الفرنسية والإقامة العامة، فقد خلفت كمية هائلة من الوثائق تغطي سنوات 1912 إلى 1956 وتنوع مواضيعها بتنوع اختصاصات كل إدارة أو مصلحة، وسنركز هنا فقط على أرشيف مديرية الشؤون الأهلية باعتبارها مصلحة مركزية، وأرشيف المناطق باعتباره أرشيفا تابعا للمصالح الإقليمية:

مديرية الشؤون الأهلية: مثلت أساس " السياسة الأهلية " (La polique des indigene) التي أنتجت التجربة الفرنسية الاستعمارية في مغرب الحماية. تأسست بموجب ظهير 2 يونيو 1917 وأصبح الضباط الذين يزاولون نشاطهم الاستخباري والعسكري ضمن هذه المديرية يحملون اسم ضباط الشؤون الأهلية³²، ووضعت تحت سلطتها مصلحة الاستعلامات، وظللت تشتغل إلى أن ألغيت سنة 1936 وحلت محلها مديرية الشؤون السياسية³³.

تحتوي مديرية الشؤون الأهلية بأرشيف نانط على حوالي 475 حزمة عن المغرب، وتتضمن معلومات عن كل ما له علاقة بالأهالي وخاصة القبائل والسياسة العامة المتعلقة بالقبائل المغربية في المنطقة الفرنسية، والعمليات العسكرية التي كانت القبائل مسرحا لها خلال عملية التهدة، وكذا معطيات وبطاقات الاستعلامات (Fiches de Renseignements) عن رؤساء القبائل ومواضيع أخرى ذات الصلة خلال الفترة الممتدة ما بين 1912 و 1934³⁴.

إن أهم ما يميز هذا الصنف طابعه السري الذي يضفي عليه نوعا من المصادقية، وطابعه الطارئ والفوري، وهو ما ينتج عنه وجهات نظر متعددة ومتناقضة تسعف الباحث في معرفة ملابسات حدث معين من زوايا نظر مختلفة، ورصد الصراعات بين الفاعلين والمساهمين في صنع أحداث المغرب زمن الحماية، والوقوف على البنى القبلية التي أتاحت للسلطات الاستعمارية الفرنسية إمكانية اللعب على التناقضات المحلية للمجموعات والألفاف، والتحكم في مواقف الزعامات. يقول رمي لوفو في هذا الصدد: « فرعاء الحرب الذين نصبهم السكان لمقاومة الغزو الاستعماري ينتهون بالتعاون مع هذا الأخير، بشرط الاحتفاظ بهم على رأس قبائلهم باسم السلطان »³⁵.

أرشيف الأقاليم العسكرية والمدنية: منذ سنة 1912 قسم المغرب إلى أقاليم عسكرية، وهي فاس ومكناس ومراكش، ومنذ 1919 أحدثت سلطات الحماية ثلاث أقاليم مدنية، هي: الدار البيضاء والرباط ووجدة إضافة إلى أكادير، وقد خلف موظفوا الإدارات الإقليمية (ضباط الشؤون الأهلية والمراقبون المدنيون) في هذه المناطق وثائق عدت بمآت الآلاف وغطت عهد الحماية في كل إقليم إلى غاية 1956 وإن كان أغلبها حول إلى قصر فانسن وكبي دورسي بباريس، ومن أهم الأقاليم المغربية التي تزخر محفوزات نانط بوثائقها إقليم فاس ب 265 حزمة تغطي الفترة المتراوحة بين 1920 و 1957، وتضم الوثائق معلومات عن

مدينة فاس، والدوائر والملحقات التابعة لها مثل تازة وتيسة وقرية با محمد وصفرو وإموزار وخنيفرة...³⁶.

إنها وثائق مصدرية غنية ودقيقة لتكوين فكرة عن أحداث الحماية الفرنسية سواء بالقبائل أو بالمدن المغربية، وإعطاء صورة عن الواقع المعاش في البادية والحاضرة في كل مرحلة من مراحل الحماية لكن بإعمال العقل الناقد للوثائق الأرشيفية نظرا لما يتطلبه التعاطي معها من وجوب توافر الرؤية العلمية الثاقبة، والحس التاريخي الكبير.

خاتمة

إن الأرشيف هو من المسائل الضرورية التي يجب على الفرد والجماعة والدولة تحديدا عبر مؤسستها الخاصة أو العامة أن تولي له أهمية في إستراتيجيتها، فهو ذاكرتها ودليل استمراريتها، وهو الشاهد على جميع الأنشطة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، في واقع الفرد والجماعة المعيش، والأرشيف كما قال المؤرخ جامع بيضا - مدير أرشيف المغرب - إذن ماضٍ، تاريخ، هوية، تراث، عربون الشفافية، ويساهم في التنمية الاقتصادية للبلاد؛ فهو ضمان لاستمرارية الدولة، فتنظيمه وفاء للماضي، وتدبير معقلن للحاضر، وتطلع للمستقبل، وقد عبر عن ذلك جاك ديريدا في موضع آخر لما قال: "ليست مسألة الأرشيف متعلقة بالماضي فحسب، إنها أيضًا مسألة المستقبل، مسألة المستقبل بالتأكيد، مسألة جواب ووعد وشعور بالمسؤولية لبناء الغد"³⁷.

لقد صارت الحاجة اليوم إلى دراسة أرشيف تاريخ المغرب علميا وأكاديميا، وحصر أماكن تواجده في بقاع العالم واستثمار المسموح الاطلاع منه خصوصا الأرشيف الفرنسي الضخم، إلى جانب فتح آفاق جديدة للباحث الأكاديمي لضمان تنوع الرؤى والأطروحات من خلال توسيع مجال استثمار الأرشيف الوطني الموجود في العمالات والبلديات وادارت الدولة، وكذا مخلفات العهد الاستعماري لدى بعض الخواص من المغاربة كالقواد والشيوخ والأعيان والعائلات، فلم تنل هذه الوثائق بعد ما تستحق من أهمية وتمحيص لتعرض أغلبها للتلف والإهمال والإقبار المبالغ فيه أحيانا.

الهوامش:

¹ كلمة أرشيف لاتينية، أصلها: "أرشيفوم"، مشتقة من كلمة "أرخيا" في اللغة اليونانية، أي الوثائق التي تؤرخ لعائلة أو شخص أو مجموعة، وسرعان ما تحول معناها وصار يدل على مجموع الوثائق الشخصية التي يحتفظ بها شخص ما

في مكان معين، أو لدى مؤسسة معينة للرجوع إليها للاستعمال كمصدر عند الاقتضاء. وفي تعريف اصطلاحى واسع جداً للأرشيف الذي أعطاه القانون الفرنسي سنة 1979: "الأرشيف (المحفوظات) هي مجموعة الوثائق، مهما كان تاريخها، وشكلها أو سندها المادي الذي أنتجها أو تلقاها كل شخص مادي أو معنوي أو كل دائرة أو هيئة عامة أو خاصة أثناء ممارسة الوظيفة".

Le robert :dictionnaire de la langue française, matière archives, archiviste, archivistique, p.116

رشيد البرنوسي، "الكتابة التاريخية من الأرشيف إلى التمثيل السردى"، مجلة مدارات تاريخية، المجلد الثاني، العدد السادس، يونيو 2020، ص. 195

² يمنع في الأرشيف الفرنسي إتاحة أية وثيقة قبل ستين سنة على تاريخها، كي يضمن ذلك على الأقل ألا تثار أية مشكلة عند الكشف عنها، وخصوصاً إذا كانت تتعلق بكشف حقيقة موقف ما كان غامضاً، أو إذا كانت تؤكد تورط أحد الأطراف وأزمة شديدة تعرض لها هذا البلد أو ذاك (زينب الطحان، "الباحثة المتخصصة في الأرشيف الفرنسي الدكتوراه ليليان زيدان: القانون الفرنسي يمنع إتاحة الوثائق قبل مرور ستين سنة على تاريخها"، أرشيفيو، مركز أوال للدراسات والتوثيق، العدد 9، مارس 2018، ص. 3)

³ سالم عبود الألوسي، محمد محبوب كامل، الأرشيف تاريخه أصنافه إدارته، الطبعة الأولى، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1979، ص. 8

⁴ زينب الطحان، "المؤرخ الدكتور أنطوان الحكيم: أرشيف الانتداب مصدر أساسي لكتابة تاريخ لبنان في القرن العشرين"، أرشيفيو، مركز أوال للدراسات والتوثيق، 11 مارس 2019، ص. 3

⁵ محمد بوسلام، الأرشيف في خدمة البحث العلمي والتنمية، منشورات المجلس البدي لصفرو 1999، ص. 18

⁶ سالم عبود الألوسي، م.س، ص. 45-49

⁷ بعد استقلال الجزائر سنة 1962 نقل إلى أكس - أن - بروفانس (Aix En Provence) بين 1961-1962 مما خلق نزاعاً أرشيفياً بين الجزائر وفرنسا حول 200 ألف علبة (600 طن) من الأرشيف العائد لفترة الاستعمار بين 1830-1962، و1500 علبة من الوثائق العائدة إلى الفترة العثمانية (بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر) التي سبقت الاجتياح الاستعماري

⁸ عبد القادر خليف، "رحلتي إلى إيكس أون بروفانس في 1913 (مركز أرشيف ما وراء البحار)"، مجلة عصور الجديدة، مختبر البحث التاريخي تاريخ الجزائر، جامعة وهران، العدد 11-12، خريف شتاء (فبراير) 2013-2014، ص. 420

- ⁹ عبد الحميد احساين، "المغرب في أرشيف إيكس إين بروفانس"، مجلة أمل، العدد الثالث، السنة الأولى، 1993، صص. 127-130
- ¹⁰ محمد البكراوي، "رصد وثائقي أولي حول المغرب والحرب العالمية الأولى مركز أرشيف وزارة الحربية بفانسين نموذجاً"، وثائق عهد الحماية رصد أولي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة: ندوات ومناظرات رقم 57، مطبعة فضالة، المحمدية، 1996م، ص.
- ¹¹ عبد القادر بوراس، م.س، ص. 91
- ¹² نفسه
- ¹³ البكراوي، م.س، ص. 72-73
- ¹⁴ من أبرز الملاحظات الخاصة بالتاريخ العسكري لتازة في أرشيف فانسن نذكر: 1537, 1538, 3H1479, 1585, 1582, 1580, 1562, 1546, 1616
- ¹⁵ S.H.A.T, "La situation en avant de Msoun juillet- décembre 1913", opérations militaires, série 3H, Carton 1556
- S.H.A.T, "Rapport, période du 20 janvier au 20 février 1915", 1^e partir, situation politique, nouvelles, série 3H, Carton 1556
- S.H.A.T, "Télégramme officiel, colonne mobile à Taza, au résident général, Rabat, commandant général du nord Meknès, région de Fèz, subdivision Oudjda", N° 25 B.F, Le chef de service des renseignements, Taza le 1^{er} février 1915, série 3H, Carton 1556
- S.H.A.T, "Rapport du chef de bataillon Moucin chef de service des renseignements sur la situation politique dans le territoire de Taza; période du 15 au 24 janvier 1915", situation politique, série 3H, Carton 1556
- S.H.A.T, "Rapport de Lt- colonel Derigoïn commandant le territoire de Taza à monsieur le colonel commandant de la région de Fèz", service des renseignements, N° 778 R, 5 août 1915, Série 3H, Carton 1556

S.H.A.T, "Operation toutes région 1914–1924, rapport d'operations (période du 20 juin au 1 er septembre 1914)", Carton 3 H 586

¹⁶ S.H.A.T, La Situation politique et militaire du 10 au 16 février 1925, la Direction des Affaires indigènes et des Renseignements, Carton 3 H 100

¹⁷ محمد خرشيش، "وثائق محفوظة في مراكز الأرشيف الفرنسي حول حرب الريف"، وثائق عهد الحماية رصد أولي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة: ندوات ومناظرات رقم 57، مطبعة فضالة، المحمدية، 1996م، ص. 59

¹⁸ يمكن الحديث في هذا الصدد عن كل من القبطان روبر مونطاني والقبطان جوستينار الذي سمي "بالقبطان الشلح" نظير معرفته بأحوال وعوائد القبائل البربرية في الجنوب وليوطان سيلمان المعروف بسليمان. (عبد القادر بوراس، م.س،، ص. 92)

¹⁹ -S.H.A.T (Service historique de l'Armée de Terre), Château de Vincennes, Paris, "Fiche type sur les Branès", 1928, Carton 3 H 1629

-S.H.A.T, "Notice sur les Branès", 1934, Carton n 3 H 1629

²⁰ خرشيش، م.س،، ص. 60

²¹ عبد القادر بوراس، "آفاق وحدود استثمار شباط الشؤون الأهلية في كتابة التاريخ"، وثائق عهد الحماية رصد أولي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة: ندوات ومناظرات رقم 57، مطبعة فضالة، المحمدية، 1996م، ص. 106

²² تضم هذه المحفظة على مذكرات قسم الاستعلامات الخاصة بتهريب الأسلحة والدعم الأجنبي للريفيين والتنظيمات الريفية وغيرها من المواضيع ذات الصلة خلال الفترة الممتدة من 1923 إلى 1926 (عثمان بناني، "عبد المالك الجزائري من خلال محفوظات فانسين"، وثائق عهد الحماية رصد أولي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة: ندوات ومناظرات رقم 57، مطبعة فضالة، المحمدية، 1996م، ص. 86

²³ البكراوي، م.س،، ص. 73

²⁴ S.H.A.T, Rapports du résident sur l'action et la propagande allemande au Maroc (1914–1919) " Lettre de ministre de la guerre à ministère de l'extérieur ", Paris, le 19 novembre 1914, Carton 3H 108

²⁵ S.H.A.T, "Littre du chef de bureau des renseignements des Branès à monsieur le colonel commandant de territoire de Taza", opération colonne des Beni Bouyala (janvier 1916), Carton 1556

S.H.A.T, "Rapport du capitaine Pamponneau chef de l'annexe des Tsoul, sur les opération contre les Beni Bou Yala, du 23 mai au 5 juin 1916", a colonne de Beni bou yala (janv 1916), série 3H, Carton 1556

²⁶ البكراوي، م.س، ص. 61

²⁷ ميشال أبو نجم، "الأرشيف الدبلوماسي الفرنسي: 80 كيلومترا من المخطوطات والصور و 430 وثيقة و 25 ألف معاهدة"، جريدة الشرق الأوسط، العدد 11243، 9 شتنبر 2009

²⁸ "Les puissances et rangers el la question marocaine, Intérêt espagnols, opération militaires au maroc, dec 1916-Dec 1919", Direction politiaue et commercial, Ministre des affaires etrangeres, Maroc (221), Série M, Carton 11 Dossier 3, Cote: 73CPCOM

²⁹ بوشتي بوعسرية، "مركز الأرشيف الديبلوماسي في مدينة نانط في فرنسا"، وثائق عهد الحماية رصد أولي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة: ندوات ومناظرات رقم 57، مطبعة فضالة، المحمدية، 1996م، ص. 21

³⁰ ميشال أبو نجم، "الأرشيف الدبلوماسي"، م.س

³¹ البكراوي، م.س، ص. 71

³² بوراس عبد القادر، م.س، ص. 96

³³ بوعسرية، م.س، ص. 28

³⁴ نفسه، ص. 28

³⁵ بوراس عبد القادر، م.س، ص. 90

³⁶ بوعسرية، م.س، ص. 32

³⁷ جامع بيضا وآخرون، الدليل المرجعي لتدبير الأرشيف العمومي، أرشيف المغرب، طباعة غرافهوم، 2017، ص. 5